من أسئلة القراء

يسر مجلة « الاسلام والتصوف » أن تظفر بثقة قرائها وتقديرهم ، فقد انهالت علينا منهم أسئلة عن مسائل فى التصوف خاصة ، وفى الاسلام عامة ، يطلبون عنها الرأى الصحيح ، والتوجيه الصادق .

والمجلة يسعدها دائما أن تفسح صدرها لكل مسترشد ، ولكل سؤال ، ففى طليعة رسالتها ، أن تبين للناس ، حقائق دينهم ، ومناهج سلوكهم ، وسنجيب ان شاء الله على الأسئلة بترتيب ورودها :

* * *

١ – أرسلل الينا الأستاذ مراد الطحاوى المحامى يقول :

« تحية لسيادتكم ، وتهنئة لمجلتكم ، التى نرجو ببزوغها خيرا كثيرا للدين والتصوف ، فى عصر طغت فيه المادية على الروحانية ، حتى أننا نجد أن الدين ضاق نطاقه فى ظواهر مادية ، كزيارة قبور الأولياء وتقبيل أماكنها ، وقراءة الفاتحة لهم ، والتبرك بهم ، وبآثارهم مع تقديم النذور اليهم ، مما نعتقد معه أن فى ذلك مخالفة للدين ، ولعلكم توضحون لنا فى مجلتكم موقف الاسلام من كل ذلك .. »

الجواب :

الأصل فى كل عمل من الأعمال هو النية ، كما ورد فى الحديث الصحيح « انما الأعمال بالنيات » وعلى هذا ، فمن يزور وليا من أولياء الله يقصد من زيارته ، الاحترام والاجلال للمعانى الدينية الرفيعة ، التى يمثلها هذا الولى ، كما يقصد العبرة والعظة بتذكر الموت ، وأن يدعو الله بقلب خاشع دعاء شرعيا ليس فيه قطيعة رحم ، ولا أذى لأحد من الناس ، فقصده وزيارته من الأعمال المبرورة المشكورة ، ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من زيارة « البقيع » حيث مقابر الشهداء ، ويكثر من الترحم عليهم والدعاء لهم .

وثبت عنه صلوات الله عليه أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها تذكر بالله » .

وأما تقديم النذور ، فان قصد بها الصدقة الجارية ، والتقرب الى الله فهو عمل مشروع والله سبحانه ، قد أمر عباده بأن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة ، فقبل الدعاء والطلب من الله يستحب اخراج الصدقة لتكون مقدمة وضراعة بين يدى الدعاء ، وبين يدى الاجابة .

وليس من اللائق - مهما غلب المحب شوقه - أن يقبل حجرا أو جمادا فان أساس الاسلام هو التوحيد الخالص ، لله مالك الملك وحده ، لامعقب على أمره ولا راد لقضائه .

* * *

٢ - وتلقينا من الأستاذ فتحى عبد العزيز المحامى رسالة جاء فيها :

كان لصدور مجلتكم الغراء أثر كبير فى توجيه الصوفية الوجهة الصحيحة والطريق القويم ، وبذلك سدت فراغا كان ملموسا فى المصنفات التى صدرت منحرفة عن جادة الصواب فى فهم التصوف ورسالته .

اذ قرأت كتيبات وضعت عن بعض شيوخ الطرق فيها اتجاهات الى تأليه شيوخ الطرق ، واسباغ صفات ونعوت لا تكون الا للرسل والأنبياء مع انحراف خطير فى فهم الدين .. وانى لأتساءل هل مثل هذه الكتيبات ، تصلح لأن تكون دعوة صوفية ؟ ولماذا لا تتولى مشيخة الطرق الصوفية ، ولسان حالها المجلة ، توضيح الأسس التى يجب أن يسير عليها مؤلفو تلك الكتب ؟

الجواب :

التصوف رسالة روحية ، تستمد الهاماتها ومناهجها من الكتاب والسنة ، وهى رسالة تستهدف الكمال فى كل ناحية من نواحى نشاطها الدنيوى والأخروى ، رسالة تصعد أعمالها وحركاتها وخواطرها وأنفاسها الى الله سبحانه ، تنشد رضاه ، ولا ترى سواه .

ورجال التصوف قبل كل شىء ، رجال أدب مثالى ، وأخلاق قرآنية ، وتربية قلبية مبصرة ، ومن أخلاقهم الأصيلة ، انكار النفس ، والتواضع ، فالصوفى مثلا ، ينفر من كلمة « أنا » لأن فيها أنانية وذاتية .

ذلك أدب التصوف ، فمن حاد عنه ، فقد برىء من التصوف ، وبرىء التصوف منه ، والكتيبات التى يشير اليها الأستاذ ، أول من ينكرها ويبرىء منها الشيوخ الصادقون ، فهى كتيبات أنجبها الجهل بالاسلام والجهل بالتصوف ، ولا يحتمل التصوف وزرها ، ولا يرضى بانتسابها اليه .

ومشيخة الطرق الصوفية ، فى سبيلها الى تنقية التصوف من كل دخيل عليه ، سواء كان الدخيل ، انسانا ، أو فكرة ، أو عادة ، أو كتابا ، ومجلة الاسلام والتصوف ، كما ترى فى مقالاتها وكلماتها ومناهجها تحمل الرسالة وتؤدى الأمانة ، وتبين للناس الحق من الباطل ، « واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

* * *

٣ - وأرسل الينا الأستاذ خليل ابراهيم الشاذلى . يقول :

« تطلق الجماهير على السيدة زينب رضى الله عنها ، لقب « رئيسة الديوان » وعلى السيد البدوى ، « باب النبى » فما سبب هذه التسمية وما نصيبها من الصحة » .

الجواب :

يقرر علم النفس ، أن الكلمات التى تتداولها الجماهير ، حتى تصبح من شعائرها ومصطلحاتها ، انما هى صدى لأحداث تاريخية ، وانفعالات وعواطف واحساسات ، تلاقت عليها الجماهير بوجدانها والهامها .

والسيدة زينب رضوان الله عليها ، أثبت لها التاريخ ، موقفا رائعا خالدا ، عامرا بالبطولة والفداء ، فى خلال مأساة كربلاء ، يوم أن استشهد الامام الحسين رضوان الله عليه ، واستشهد معه آل بيته الكرام ، رجالا وأطفالا ، فى قسوة وغلظة ووحشية ، تتضاءل حيالها كل مآسى التاريخ وفواجعه .

ووقفت السيدة رضوان الله عليها وحدها ، تدافع عن البقية الغالية الباقية من سلالة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وتحمى حماهم وترعاهم ، وتتولى شئونهم ، وتدبر أمورهم ، وتعدهم لرسالتهم وقيادتهم ومكانتهم من الأمة الاسلامية .

وقد أثبت التاريخ ، أنه لولا موقف السيدة البطولى الرائع فى كربلاء ، وانقاذها لعلى بن الحسين من السيوف والرماح، ولولا موقفهـــا فى وجه يزيد بن معاوية ، حينما هم بقتل على ، لفنيت سلالة الحسين عليه السلام .

ثم تولت السيدة أضخم رسالة فى تاريخ البيوتات والأسر فقد ألهبت العـالم الاسلامى بكلماتها وخطبها ضـد الأمويين ، كما أثارت عواطفه لصالح الدعوة الهاشمية العلوية ، وحشدت القوى لتأييدها ، والدفاع عن حقوقها .

ومن هنا ، وبفضل هذه السيدة الجليلة ، كانت قضية آل البيت ، وكان تاريخهم المضىء العظيم ، ومن هنا أيضـــا كان اللقب العظيم الذى أضفته الجماهير على الســـيدة المجاهدة ، رئيسة الديوان ، أو رئيســـة القضية الكبرى ، وزعيمة البيت الكبير ، بيت النبوة وديوانها .

ولعل هذا اللقب قد انحرف فى أذهان الجماهير مع التسلسل التاريخى الى غير معناه ، واتجه وجهات شعبية خياليـــة ، بعدت به عن أصله ومنبعه ، ولكن التحقيق العلمى هو ما ذكرنا .

والسيد البدوى رضوان الله عليه ، قطب من كبار الأقطاب ، وامام من أعظم الأئمة الداعين الى الله ، والى سنة رسوله ومنهجه وهديه ، فهو بهذا المعنى ، باب من أبواب العلم ، وباب من أبواب التقوى ، وباب من أبواب الدعوة الاسلامية .

والشاعر العربى القديم يصف رسول الله صلوات الله عليه بقوله :

وأنت باب الله أى امـــرىء أتـ ـــاه من غير بابك لا يدخـــل

والرسول صلوات الله عليه يقول : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » فالتعبير فى الأسلوب العربى بكلمة « باب » يطلق على الداعية الى الله ، كما يطلق على العالم ، وعلى الامام .

ومن هنا كان تعبير الجماهير عن السيد البـــدوى بأنه باب النبى ، أى الباب الذى يؤدى الى العمل برسالة النبى ، أو الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام .

ذلك أدب التصوف ، فمن حاد عنه ، فقد برىء من التصوف ، وبرىء التصوف منه ، والكتيبات التى يشير اليها الأستاذ ، أول من ينكرها ويبرىء منها الشيوخ الصادقون ، فهى كتيبات أنجبها الجهل بالاسلام والجهل بالتصوف ، ولا يحتمل التصوف وزرها ، ولا يرضى بانتسابها اليه .

ومشيخة الطرق الصوفية ، فى سبيلها الى تنقية التصوف من كل دخيل عليه ، سواء كان الدخيل ، انسانا ، أو فكرة ، أو عادة ، أو كتابا ، ومجلة الاسلام والتصوف ، كما ترى فى مقالاتها وكلماتها ومناهجها تحمل الرسالة وتؤدى الأمانة ، وتبين للناس الحق من الباطل ، « واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

* * *

٣ - وأرسل الينا الأستاذ خليل ابراهيم الشاذلى . يقول :

« تطلق الجماهير على السيدة زينب رضى الله عنها ، لقب « رئيسة الديوان » وعلى السيد البدوى ، « باب النبى » فما سبب هذه التسمية وما نصيبها من الصحة » .

الجواب :

يقرر علم النفس ، أن الكلمات التى تتداولها الجماهير ، حتى تصبح من شعائرها ومصطلحاتها ، انما هى صدى لأحداث تاريخية ، وانفعالات وعواطف واحساسات ، تلاقت عليها الجماهير بوجدانها والهامها .

والسيدة زينب رضوان الله عليها ، أثبت لها التاريخ ، موقفا رائعا خالدا ، عامرا بالبطولة والفداء ، فى خلال مأساة كربلاء ، يوم أن استشهد الامام الحسين رضوان الله عليه ، واستشهد معه آل بيته الكرام ، رجالا وأطفالا ، فى قسوة وغلظة ووحشية ، تتضاءل حيالها كل مآسى التاريخ وفواجعه .

ووقفت السيدة رضوان الله عليها وحدها ، تدافع عن البقية الغالية الباقية من سلالة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وتحمى حماهم وترعاهم ، وتتولى شئونهم ، وتدبر أمورهم ، وتعدهم لرسالتهم وقيادتهم ومكانتهم من الأمة الاسلامية .

وقد أثبت التاريخ ، أنه لولا موقف السيدة البطولى الرائع فى كربلاء ، وانقاذها لعلى بن الحسين من السيوف والرماح، ولولا موقفهـــا فى وجه يزيد بن معاوية ، حينما هم بقتل على ، لفنيت سلالة الحسين عليه السلام .

ثم تولت السيدة أضخم رسالة فى تاريخ البيوتات والأسر فقد ألهبت العـالم الاسلامى بكلماتها وخطبها ضـد الأمويين ، كما أثارت عواطفـه لصالح الدعوة الهاشمية العلوية ، وحشدت القوى لتأييدها ، والدفاع عن حقوقها .

ومن هنا ، وبفضل هذه السيدة الجليلة ، كانت قضية آل البيت ، وكان تاريخهم المضىء العظيم ، ومن هنا أيضـــا كان اللقب العظيم الذى أضفته الجماهير على الســـيدة المجاهدة ، رئيسة الديوان ، أو رئيســـة القضية الكبرى ، وزعيمة البيت الكبير ، بيت النبوة وديوانها .

ولعل هذا اللقب قد انحرف فى أذهان الجماهير مع التسلسل التاريخى الى غير معناه ، واتجه وجهات شعبية خياليـــة ، بعدت به عن أصله ومنبعه ، ولكن التحقيق العلمى هو ما ذكرنا .

والسيد البدوى رضوان الله عليه ، قطب من كبار الأقطاب ، وامام من أعظم الأئمة الداعين الى الله ، والى سنة رسوله ومنهجه وهديه ، فهـو بهذا المعنى ، باب من أبواب العلم ، وباب من أبواب التقوى ، وباب من أبواب الدعوة الاسلامية .

والشاعر العربى القديم يصف رسول الله صلوات الله عليه بقوله :

وأنت باب الله أى امـــرىء أتـ ـاه من غير بابك لا يدخـــل

والرسول صلوات الله عليه يقول : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » فالتعبير فى الأسلوب العربى بكلمة « باب » يطلق على الداعية الى الله ، كما يطلق على العالم ، وعلى الامام .

ومن هنا كان تعبير الجماهير عن السيد البـــدوى بأنه باب النبى ، أى الباب الذى يؤدى الى العمل برسالة النبى ، أو الاقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام .

٤ - وأرسل الينا الأستاذ عادل الزغل المحامى . يقول :

« ترقبت مجلتكم بشغف ، وكانت عند حسن الظن بها ، منارا للدين والتصوف ، وحربا على البدع والمنكرات ، ولعلها سالكة هذا الدرب حتى يصل التصوف الى ما يليق به من مكانة واجلال .

وقد خطر لى أن أستفسر من سيادتكم عن بدعة طالما رددها بعض الصوفية فى أورادهم ، هى تلك النعوت التى يصفون بها النبى من أنه الروح الكلية التى صدرت عنها الأرواح . فهل يتفق هذا مع الدين ، وما موقف التصوف الحق من أمثال هذه الكلمات .. »

الجواب :

التصوف الاسلامى عمل وخلق وعبادة ، لا يعرف الجموح الفلسفى ، ولا التعقيد الفكرى .

ولقد دس خصوم التصوف عليه - للتضليل - آراء فلسفية جامحة مقتبسة من المذاهب والعقائد والنحل التى كانت تموج بها رقعة العالم الاسلامى ، قبل اشراق أنوار التوحيد عليه .

ومن هذا الدخيل المدسوس على التصوف فكرة وحدة الوجود التى تجعل الخالق والمخلوق وجودا واحدا ، وهى فكرة الحادية هندية قال عنها الامام الشعرانى ، انها أحط مرتبة من عبادة الأوثان .

ومن هذا الدخيل أيضا تلك الدعوة المقتبسة من الفلسفات الوثنية التى تقول بوجود روح كلية تصدر عنها الأرواح ، أو العقل الكلى الذى تصدر عنه العقول .

فقد نقلوا هذا المعنى الوثنى الذى يضاد التوحيد ، الى ما أسموه الروح المحمدية الكلية التى صدرت عنها جميع الأرواح .

وما قال القرآن هذا ، وما قال الرسول هذا ، وما ينبغى له فهو عبد الله ورسوله وخاتم النبيين ، وأكبر داع الى التوحيد النقى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » .